

في رثاء المرحوم، الأخ الدكتور فواز الخريشه

رافع حراحشه



للموت هيبَةٌ وجمالٌ أيها الراحل، ولنا من بعد الراحلين انتظارٌ في رحلة العمر قد يطولُ وقد يقصرُ، حتى يقدمَ بلا جلال وبلا هيبية وبلا ترددٍ يختارُنا الواحدُ تلو الآخر، فعليك يا أبا محمد سلامُ الله مني تحيةً، وعليك السلامُ من كل غيثٍ صادقٍ البرقِ والرعدِ.

أبا محمد !

عندما خطر لي أن أرثيك في بعض كلام من بعض ما في نفسي، هاجت في النفس ذكريات البدايات في قسم النقوش في معهد الآثار عندما كنت أنا طالباً وكنت أنت أستاذاً وأخاً، نتحاور في قاعة الدرس ونتدارسُ الآراء والأفكار، فإذا ما أشكل أمرٌ علينا نحن الطلاب، لم يفتك الإدلال على الصواب بعلمك وسعة إطلاعك، فلا عجب فقد درُّك صرعُ العلم، ونبضُ فيك عرقه.

وعرفتُك أيضاً معلماً وأخاً في الميدان وأنت العارفُ بمفاصل أودية البادية والحرَّة وجناباتها، وعندما تتشعبُ بينا الدروبُ وهي كثيرة، وتتشابهُ الوهادُ والسُهوبُ، كنت دليلاً في وادي سلمى، وسارة، والجثوم، ووادي راجل، والقطافيات، وباير...، وكنت تقولُ في رفاقك في البرية قولٌ من يعرفُ حق الرجال، ومن أخطأ توجهه تصريحاً حيناً، وحيناً تعريضاً حسبَ المقام والمقال.

واتفقَ أن خبرتُك أحياناً سفر، فقد كنت لطيفَ المعشر، دمت الخلق، تبذل ما في يدك من غير منة، وفي أحاديثك تُحفظنا بكل خبرٍ ونادرة، وأشهدُ الله أنني كنت أتمنى أن يطولَ السفرُ وأن ينصرفَ العقلُ والقلبُ بعيداً عن التفكيرِ بكدر الحياة.

وتشاء الأقدارُ ثانيةً بعد إنقطاع لبضع سنين، أن نكون رفقةً في العمل في دائرة الآثار لعقد من الزمن، فلم تتوانَ عن القيام بمسؤولياتك، فكثيراً ما كنت تفاجئُ زملاءك في الميدان فتمضي معهم لحظات مرشداً وموجهاً وناصحاً، وفي الإجتماعات أراك تلتقطُ الفروق بين الآراء فتلتئمُ عندك في رأي واحد يسرُّ به المجتمعون، ودائماً تطرحُ الجديد من العمل والأفكار والمبادرات فقد كنت تملُّ تكرار ما كنت تعمله، فتسعى إلى غيره بعنفوانٍ معطاء، وجهدٍ دؤوب، وأذكر أنني كنت معك في مكتبك بعد إنتهاء الدوام، ورأيت الإرهاق باد عليك من يوم عمل أضناك، فرجوتك: إلا أنك استدعيت إياداً ليحضر لك بعض طعام لتتقوى به على عملٍ لم ينته، فعرفت أنك لن تبرح مكتبك حتى تنهي عملك. وكنت أثناء مسيرتك في دائرة الآثار كلما تناولت عليك السنة علوج، أدت لهم ظهرك، ومضيت في عطاءك وجدك، لا يُضيرك منهم قول مكلوم ولا رأي مأزوم.

كثيرة هي الذكريات، ومؤثرة جداً حد الوجع، ولقد تركت فاجعة رحيلك غصةً في الحلق، وحرقاً في القلب، وانكساراً لصحبة نبيلة بدأناها منذ عقدين ونيف، وأوقف ومضها موت محتوم لم نتوقعه مبكراً، ولنا عزاء، أنك تركت إرثاً لم يتحصّل عليه من الرجال إلا قليل، وأشهدُ الله أن فيك نبلاً إنسانياً، وعلماً، وحزماً، وحلماً، وفضلاً، وصدقاً، وصبراً، واحتمالاً، وكرامةً في النفس، وجرأةً في قول الحق، فمن رحل عن الدنيا وهذه فيه فقد تركها وهو زائدٌ فيها، ولم يكن زيادةً عليها.

للموت هيبَةٌ وجمالٌ ورهبةٌ أيها الراحل، ومرُّ في فَمِي طعمُ تلك اللحظة التي نَعَاكَ فيها إليّ ولَدُكَ محمد عند الثالثة من فجرِ يوم رحيلك، ومرُّ في فَمِي طعمُ رؤيتك مُسجى لتجهيزك لرحلة البقاء، ومرُّ في فَمِي لحظة أوسدوك مَلحود قبرك في دارٍ وحشة قُبالة دارِ الفناء، فلا الحزنُ يخفُّ أَلَمَ الرحيل، ولا الوجعُ الذي سَكَنَ في قاعِ النفسِ يَحْبُبُ الأسى، فقد جازَ الجرحُ حدَّ الاحتمال، ورحلتَ وقد نَيْفَتَ على الخمسين، ولم تدرُج قَدَمَكَ نِهايَاتِ العَمْرِ، فكان الجزعُ عند أَهْلِكَ وَأَصْدِقَائِكَ ومحببك أكبرُ وأشدُّ.

كلا! إن الصبرَ أجملُ وأيمنُ، والتجلدَ مطيةٌ من اتقى وسلَّم، ومن حقِّ الموتِ علينا أمانة الرضا بتسليم الوديعة، فجميعنا في قبضة المالك.

وما المالُ والأهلونُ إلا وديعةٌ فلا بدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ

رحم الله أبا محمد رحمةً وسعها السمواتِ والأرضُ، وسقى قبره من كلِّ وابلٍ هطالٍ،

وجعلَ فسيحَ جناته مأواه، وعزاءُ أهلك فيك، إرثك الذي تركت، والمُعزَّون من كلِّ الأمكنة، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

أهلك، وذووك، وأصدقائك، ومحبوك.

عنهم: الدكتور رافع حراحشه